وكانت حكايات مظالم الملكيين قلوب اهل بلاده بالاستغراب والفزع فانجذبت عقول
نحو المدافعة عنه وفي هذا الوقت وصل الامبراطور شارل الخامس في اسبانيا واشتهر
ما وجه رعيته عليه من مدافعتهم على قورطيس واصدر من حضرته امرا قاضيا بالغاء
كل دعوى اقيمت عليه فلاسكيز حاكم قوبه وما كان عليه قونسيكا اسقف بورغوس
من انتقامهم من قورطيس والبطش به وغضبه مع فلاسكيز وامر الامبراطور بان قورطيس
يكون هو الحاكم العمومي في اسبانيا الجديده اذ لا يوافق شخص غيره لبقاء الشوكة الملكية
او قيام العدل والانتظام فيها بين الاسبانيين ورعاياه من الهنود مثل هذا القايد
المنصور الذين تعود الاسبانيين من مدة طويلة على طاعته وخاف الهنود منه وخاطرا
على احترام الاسبانيين والقرانين الاسبانية ومن قبل ورود هذا الامر القاطع من
الامبراطور كان قورطيس اشتغل في اشغاله وراعى اعماله بصفة انه هو الحاكم المعتمد
عليه في اسبانيا الجديده واجتهد في ان يجعل فتوحاته مكسب نافع وما في حصين البلاد
واهلها وعول على جعل مقر الحكومة ومركزها في موقعها القديم ويقيم مكسيكا مرة
مرة ثانية من الخراب الموجودة فيه الى احسن ما كانت عليه والقصور والقصورات كبيرة في
شاهدات تاع وسعادة مستقبل المملكة التي وضع اساسها فشرع في بناء عاصمتها على منوال
شكله في عقله على التدريج حتى جعلها اجل مدينة في الدنيا الجديدة وعين المهرة من
بارعي ضباطه في البحث عن المعادن الموجودة في الجهات المختلفة من المملكة فكشفوا
بعضها وفتحوها ووجدت اغنى المعادن الاسبانية التي كانت كشفت في جهات امريقه
وفصل كبار ضباطه وارسلهم الى الاقاليم القاصية من المملكة وشجعهم على الاقامة
فيها وما افاض عليهم بالاراضي الشاسعة فقط بل ومنحهم الحكم على الهنود مع حقوق
الخدمات والاشغال الجارية عليهم في الجزاير فغضب المكسيكيون مما حل بهم من العسف
والجور الذي وقع عليهم من الاسبانيين فقاموا بالسلاح من كل جهة من اجل المدافعة
على حريتهم وكان الاوروباويون بسبب سلاحهم وانتظام حركاتهم هم الغالبون
في كل حركة وواقعة وحرق الاسبانيون في اقليم بانوكا ستون من رؤسا الهنود
واربعماية من اشرافهم في وقت واحد واوقعوا بهم الفظايع والاهوال الشديدة
حتى ظهر على جاطيموزين الملك الغضب وشرع في رج وهز النير الاسباني وهيج
رعاياه الاولية على حمل السلاح فامر قورطيس بصلبه مع رئيس هنود طيزوقو
ورئيس هنود طاقوبه وكانا هما الشخصان الاكبر مقاما وعلوا في الدرجة في المملكة
المكسيكية ونظر المكسيكيون بعين الانذهال والفزع الى هذا العقاب القبيح
الفظيع الذي وقع على شخص كانوا مشعورين على احترامه زيادة عما كانوا يؤدون
من الاحترامات لالهتهم ثم حافظ الاسبانيون على مراعاة الهنود ولما وصل الامر
الامبراطوري الى قورطيس عين هنودا بين لجباية الايرادات والخراج الملوكي لسلطنة
مطلقة في سنة ١٥٢٤ وكان الذين عينهم من ادانى الناس ولمامة من اطراف
مادريد وضواحيها ومن شغاليها ارتفعوا في الدرجات بسرعة عند قورطيس حتى ظنوا
في انفسهم انهم اول درجة من العالم وما تصوروا ان طريقة الادارة في مملكة
صار فتحها في عهد قريب مخالفة بالكلية للطريقة المقامة في مملكة اخرى متسلطين
فيها الراحة والنظام وانتظام الحكومة من مدة طويلة فجاروا في احكامهم وعسفوا
بالبلاد والعباد ولما نهاهم قورطيس اتهموه في مكاتيبهم ورسايلهم في اسبانيا بانه
رجل طامع طامح في جبار عظيم سلطنة وحكومة اعلا واكبر من مقامه وتمسكه بزمام
الاستقلال وانه بواسطة وفرة ثروته وغنيمته ووسعة سلطنته وشوكته ربما يتمم
مشروعات عدم طاعته واستقلال نفسه الذي حصل منه الان التفكر فيها فتولد من هذه
المكاتبات حصل كبير وتاثير شديد على عقل الوزارة الاسبانية حتى ان الوزرا
اوقعوا الرعب والفزع في عقل ملكهم ونسوا ما كان من اعمال قورطيس وحصول الملك
وصدر امر في الوقت من هذه الادارة فعين الملك في سنة ١٥٢٥ مندوب للبحث
فيها شخص من اهل الهياج اسمه بونس دو ليون وعهد اليه القبض على قورطيس
وارساله مسجونا الى اسبانيا فحين بعد وصوله الى اسبانيا الجديده ببضع ايام مات هذا

هذا المندوب واخزم من بلوغه مأربه ولما علم قورطيس اصل تعيينه انزعجت حواسه
جرحا شديدا مما حصل له من الملك على حين غفلة ومع هذا فانه اجتهد في المحافظة على
مرخصة وعهود وثاقة الملك والديوان به الا انه كان كل شخص في وظيفة في اسبانيا
يتجسس من عهد الفتح على سيره ويذيع اخبارا قبيحة في حقه حتى ذاد غضب الامبراطور شارل
الخامس ووزراه عليه وفي سنة ١٥٢٨ تعين مندوب جديد للفحص بشوكة تامة وسلطة
مطلقة مع الاحتراز من عدم حرمانه قورطيس او عقابه ان وجد فيه ما لا يخل بشرفه و
صداقته ولما راى قورطيس ان رهان سعادته على شرف الوقوع وهدوته المصايب والاهوال
وضاع سعيه وتعبه سدى عزم على ان لا يجعل محاكمة نفسه في ارض اشتهر اسمه فيها بعظم فتوحاته
ومضراته ومن دون انتظاره وروده المندوب الذي تعين لمحاكمته سافر هو الى قشطيلة
ليجعل محاكمته والفصل في امره تحت عدل وكرم مليكه وظهر قورطيس في المملكة وطنه بابهة
وتفخيم لايقة بعظام فاتح مملكة وكان معه مقدارا عظيما من ثروته وجواهره وحلي ومصاغات
ذات قيمة وتحايف ولطايف من مشغولات المملكة وكان معه ناس من اشراف المكسيكيين
ووجوههم وكذا كبار ضباطه فازال بحضوره في اسبانيا كل ريبة وكل شبهة توجهت
في حقه ولما زالت شبهة الامبراطور عن قورطيس قابله مقابلة شخص برئ وصل الى
ساحة سيده ورحمه ومبجل مقام واحترام يليق بخدمته ومنح عليه الالقاب العالية والرتب
الجليلة واحسن عليه باراضي واسعة في اسبانيا الجديده ولو ان شارل اغدق عليه
بهذه التعطفات فانه ما زال كان في ريب منه وما قلده الوظيفة التي كان فيها حقيقة
ما كونه يستحيل عليه فيما بعد طاعته لنفسه وعاد قورطيس في سنة ١٥٣٠ الى مكسيكا ناقص
الحكومة والادارة وعهد الملك اليه قيادة العسكر والسعي في عمل استكشافات جديدة
وتعين ارطوفي عنده وزره رجل من ارباب الرتب العالية وارسل واليا في اسبانيا
الجديده فتولد من تقسيم حكومتها دوام شقاق ونزاع ازعجت عيشة قورطيس
وعكرت افكاره من حسدوعاشه ولما راى انه لا يوجد شيء امامه يظهر فيه زكاه وبراعة
اشتغاله سوى عزم على استكشافات جديده فعمل عدة مشروعات عاد عليه جميعها
بالفخر وكان على حضور من قبل انه اما بواسطة السعي من خليج فلوريده في طول
السواحل الشرقي لامريقة الشمالية لابد من وجود مضيق موصل بالاوقيانوس الغربي
او انه بواسطة الفحص في برزخ داريان لابد من كشف طريق بين الاوقيانوس
الشمالي والجنوبي فخاب في كل من هذين المشروعين ثم عزم على سياحة كشف على قدر
امكانه من عين اسبانيا الجديده الى المحيط الجنوبي واعد لهذا عدة عمارات صغيره
وارسلها على السواحل وهذه العمارات اما هلكت في اسفارها او عادت من دون
ظفرها على ادنى كشف شيء فتعب قورطيس من توجيه زمام قيادة عماراته لغيره
حتى انه في سنة ١٥٣٥ استلم هو بنفسه زمام قيادة عمارة جديده وما بعد ما
حاقت به الاخطار والاهوال ولا في اشد المصاعب كشف بحيث جزيرة كاليفورنيا
الجزيرة الكبيرة وكشف القسم الاعظم من الخليج الفاصل كاليفورنيا عن اسبانيا
الجديده وعاد في سنة ١٥٤٠ الى اسبانيا فما قوبل فيها بالاحترام الموافق له وشيمة
اعماله وهو وبانه بما ظلل عليها من الفتوحات الجديدة في امريقة وصار لا ينتظر
من رجل طحنته الايام والسنين والاتعاب والمصاعب ادنى تاثير في خدمة من
الخدمات وقابله الامبراطور مع غاية البرود وعامله الوزرا تارة بالصفاقة
وتارة بالسفاهة وما راى احدا كشف حقيقة ولا تاثير لنتيجة طلبه ومن بعد ان صرف
عدة سنين في اعراضات للوزرا والقضاة في طلب حقه ومكافاته على خدماته
وما اظهره في فتوحاته واستكشافاته فما وجد احدا يسمع منه شيا حصل له غم وكان به
كانت سببا في فقد حياته في ٢ ديسمبره من سنة ١٥٤٧ لعيد الميلاد وكان عمره
اثنان وسبعون سنة وآلت عاقبة امره الى عاقبة امر كلمب وكل من اشتهر نفسه
في كشف الدنيا الجديده او فتحها من الاسبانيين والى هنا تم تغلب الاسبانيين
على اسبانيا الجديده وهي مملكة مكسيكا الحالية وبما ان فتحها من اشهر الوقايع والحوادث
في تاريخ امريقة وفي مدة سلطنة شارل الخامس فذكرنا وقايعها وما جرى فيها على

Copyright © King Saud University